مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-012-003-007

الأسطول البحري ببلاد المغرب في العهد الزيري
(362-543هـ/972-1148م)

The naval fleet in the Maghreb during the era of Zirids
(362-543 AH/972-1148 AD)

اسم ولقب المؤلف المرسل: عيسى ضيف الله- aissa daiffallah صص113-132
الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه ل.م.د- تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط- عضو باحث بمخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور- جامعة يحي فارس- المدية- الجزائر/**البريد الإلكتروني:** Aissa1873@gmail.com
اسم ولقب المؤلف الثاني: توفيق عبد الصمد مزاري- tawfik abdessamad mazari
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ التعليم العالي- جامعة يحي فارس- المدية- الجزائر.
البريد الإلكتروني:mazaro64@yahoo.com

تاريخ استقبال المقال: 2022/06/26.. تاريخ المراجعة: 2022/07/15.. تاريخ القبول: 2022/10/19

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إلقاء الضوء على أوضاع الأسطول الزيري ببلاد المغرب، والتي اتضح من خلالها أن هذا الأسطول شهد حالة من الضعف والاضطراب في أغلب فترات عصره، إلاّ أنه عرف قوةً في عهد تميم بن المعز ويحيى بن تميم، وذلك لاهتمامهم وحرصهم الشديد في امتلاك أسطول بحري يكون درعاً قوياً لصد الحملات الخارجية وحماية سواحل الدولة من التحرشات الصليبية، ليس هذا فحسب وإنما للانطلاق نحو الغزو البحري، وبالفعل فقد تمكن أسطول بني زيري بالتوغل في بعض أجزاء بلاد النصارى، حيث حقّق بعض الانتصارات والمكاسب، ولكن بسب كثرة الصراعات والأزمات الداخلية التي عصفت بالبلاد، وكذا الضربات الخارجية سواء من النورمان أو الحماديين الطامعين للتوسع على حساب الزيريين، كلها أدت إلى تدهور الأسطول الزيري تدريجيّاً إلى أن تمكن النورمان من القضاء عليه وبالتالي سقوط المهدية سنة (543هـ/1148م) وانقضاء عهد الدولة الزيرية.

الكلمات المفتاحية: الأسطول البحري؛ بلاد المغرب؛ صقلية؛ الفاطميون؛ بني زيري؛ العهد الزيري؛ النورمان؛ المهدية؛ الهجرة الهلالية؛ الصراع البحري.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

Abstract: *This study aims to shed light on the situation of the zirids' fleet in the maghrib region, by which it became clear that this fleet had known a state of weakness in most of the time. However, it known as well a state of power in the era of Tamim Ben Mu'iz and Yahya Ben Tamim Emarat due to their interest and keen in possessing a Navy, that is a powerful shield for repelling foreign campaigns and protecting the State's coasts from Western harassment.*

This is not only to move towards a maritime invasion, and Ben Ziri's fleet has already been able to penetrate into some parts of Christian country where it has achieved some wins and gains.

But because of the many conflicts and internal crises that have ravaged the country, and so with exterior strikes from either the Norman or the the Hammadids aspiring to expand at the expense of the zirids, so to led to the gradual deterioration of the zirids' fleet ,until the Norman was able to eliminate it, thereby the fall of Mahdia and the expiration of the era of the zirids State.

Keywords: Naval Fleet, Maghreb, Sicily, The fatimids, Ben Ziri, Zirids Era, the Normans, Mahdia, Hilalian migration, Maritime Conflict.

المقدمة: يكتسي الحوض الغربي للبحر المتوسط عبر العصور التاريخية المختلفة أهمية كبرى في شتى المجالات (سياسية، عسكرية، تجارية، اقتصادية)؛ وخلفيّة هذه الأهمية الموقع الإستراتيجي الذي يتمتع به، لذلك عمدت العديد من الدول التي قامت على ضفافه في العصر الوسيط بإنشاء أساطيل بحرية بغية إحكام السيطرة عليه، على غرار الأغالبة الذين امتلكوا أسطولاً قوياً في تلك الحقبة، نشط بالحوض الغربي للمتوسط وكان له دور بارز في الغزو البحري وحماية السواحل الإسلامية، كما قام بعدّة انجازات أهمها فتح جزيرة صقلية سنة 212هـ/827م، وعلى يد الفاطميين سقطت دولة الأغالبة واستولوا على هذا الأسطول والذي كان نواةً لبحرية قوية سيطرت بالفعل على الحوض الغربي للمتوسط، فكان الفاطميون أكثر الدول الإسلامية اهتماماً بشؤون البحر بعد الأغالبة والأمويين، حيث بلغت بحريتهم درجة كبيرة من القوة والانتظام ولمّا عزم المعز لدين الله الفاطمي الرحيل إلى القاهرة سنة 362هـ/972م رأى ضرورة إبقاء النفوذ الفاطمي على هذا الجزء الهام من البلاد الإسلامية وعدم التخلي عنه كليةً، فعهد لبني زيري الصنهاجيين حُكم إفريقيّة وبلاد المغرب.

تولى الزيريون حكم بلاد المغرب من سنة362هـ /972م إلى سنة 543هـ/1148م، وحاولوا خلال هذه الفترة حماية ممتلكاتهم من الاعتداءات الخارجية، لذا سعوا لإنشاء أسطول بحري يكون سنداً لهم ضد أعدائهم، وعلى ضوء هذا يُعالج هذا المقال اشكالية أساسية مفادها:

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

كيف كان واقع الأسطول البحري ببلاد المغرب إبّان العهد الزيري؟ وفيما تمثّل دوره ونشاطه في الحوض الغربي للمتوسط؟ وماهي الأسباب والعوامل التي أدت إلى تدهور وضعف هذا الأسطول؟ وما نتائج ذلك؟

وللإجابة على هذه الإشكالية حاولنا تتبع التوجه البحري لبني زيري منذ بداياته، وكذلك محاولاتهم الجادة لإنشاء أسطولٍ قوي واصطناع سياسة بحرية هادفة تقضي حماية سواحلهم من تحرشات النصارى وفرض نفوذهم وسيادتهم على بلاد المغرب، كما تطرقنا إلى مختلف أدواره ونشاطه في الحوض الغربي للمتوسط في تلك الفترة. بالإضافة إلى أسباب تدهور وضعف هذا الأسطول ونتائج ذلك.

1- التوجه البحري لبني زيري: كان للبحرية الفاطمية ببلاد المغرب مع بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي سيادة مُطلقة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، حيث سيطر الفاطميون عليه بشكل تام لا ينازعهم فيه إلاّ الأمويون بالأندلس[1]؛ وذلك لاهتمامهم الكبير بالأسطول وصناعة السفن بهدف تكوين قوة بحرية كبيرة للسيطرة على ضفتي البحر المتوسط الغربيّة والشرقيّة على السواء[2]، وبعد انتقالهم إلى مصر سنة 361هـ/971م عهدوا لبني زيري بن مناد الصنهاجي[3] بتولي أمور البلاد بتقديم المعز لدين الله الفاطمي[4] لبلكين زيري[5]

1- جعفر بن أحمد الناصري- سلا ورباط الفتح وقرصنتهما الجهادية- تح: أحمد بن جعفر الناصري- مطبعة المعارف الجديدة- الرباط- 2006م- ج4- ص157.

2- أحلام حسن مصطفى النقيب- الأسطول الفاطمي نموذج للتفوق البحري الإسلامي (212-365هـ/827-976م)- مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية- مج4- ع30- جامعة الموصل- 2007م- ص217.

3- ينتمي الزيريون إلى قبيلة صنهاجة البربرية، وهي قبيلة ذات عصبية قوية، وقد كان بنو زيري الصنهاجيين أكبر عون للفاطميين ببلاد المغرب مع مطلع القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكانت أولى خدماتهم للفاطميين مساندتهم ضد ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (331-336هـ/942-947م)، هذه الثورة الخطيرة التي كادت أن تهدم كيان الدولة الفاطمية وتقتلع جذور العبيديين نهائيّاً من بلاد المغرب لولا تدخل الصنهاجيين، وهكذا تمّ إنضمام بني زيري الصنهاجيين للفاطميين على عهد الخليفة المنصور بالله الفاطمي ثمّ مشاركتهم مع الفاطميين في محاربة الزناتيين المتحالفين مع الأمويين بالأندلس، للمزيد حول الزيريّين ودورهم في الدولة الفاطمية بالمغرب وتفاصيل قيام دولتهم ينظر: حسن حسني عبد الوهاب- خلاصة تاريخ تونس- دار الكتب العربية الشرقية- تونس، 1953م- ط3- ص88/محمد صالح مرمول- السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية- ديوان المطبوعات الجزائرية- الجزائر- 1983م- ص170 وما بعدها/سنوسي يوسف إبراهيم- زناتة والخلافة الفاطمية- مكتبة سعيد رفعت جامعة عين شمس- مصر- 1986م- ط1- ص151 و ما بعدها.

4- هو معد بن تميم بن المنصور بن القائم أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي، ولد بالمهدية سنة (319هـ/931م)، تولى الحُكم بعد وفاة والده سنة (341هـ/952م)، وهو ابن اثنان وعشرون سنة، وكانت مدة ولايته ثلاثة وعشرون سنة آخر الحُكام العُبيديين بالمغرب، وهو الذي قرّر الرحيل عن بلاد المغرب والانتقال لمصر، وتوكيل بني زيري الصنهاجيين حُكم بلاد المغرب، بعدما لاقاه بني عبيد من رفض ومقاومة من طرف أهل البلاد، توفي بالقاهرة سنة (365هـ/975م)، ينظر: ابن حماد الصنهاجي أخبار ملوك بني عُبيد وسيرتهم- تح : التهامي نقرة و عبد الحليم عويس- دار الصحوة للنشر- القاهرة- دت- دط- ص- ص 91-83. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا- تح : جمال الدين الشيال- مطابع الأهرام التجارية- القاهرة، 1416هـ/1996م- ط02- ج01- ص 93 وما بعدها.

5- هو أبو الفتوح بُلُكّين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، ويُسمى أيضاً يوسف، استخلفه المعز بن المنصور العبيدي على بلاد المغرب سنة (361هـ)، وتوفي سنة (373هـ/983م)، ينظر: ابن خلكان- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تح : إحسان عباس- دار صادر- بيروت لبنان- دت-- دط- مج01- ص 286.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

قبل ارتحاله وتوكيله حُكم بلاد المغرب كلها سوى جزيرة صقلية[1] وطرابلس[2]، وتوالى عليها أبناؤه وأحفاده من بعده إلى أن انقسموا إلى دولتين دولة آل المنصور بن بلكين أصحاب القيروان، ودولة آل حماد بن بلكين أصحاب القلعة بعد حروب كانت بينهما تنافساً على المُلك[3].

لقد كان لانتقال الفاطميين من المغرب إلى مصر ونقل معظم وحدات أسطولهم البحري إلى الحوض الشرقي[4] بالغ الأثر في إحداث نوع من الفراغ البحري للقوى الإسلامية في الحوض الغربي للمتوسط، وعلى الرغم من قيام قوى بحرية خليفة لسدّ ذلك الفراغ إلاّ أنها لم تتمكن من ذلك أمام تنامي نشاط القوى البحرية المناوئة[5]، فشعر الزيريون منذ البداية بأهمية الأسطول البحري في عملياتهم الحربية، فسعوا لإنشاء أسطول قوي وإيجاد سياسة بحرية هادفة تسمح لهم بحماية ممتلكاتهم في البحر المتوسط وتدارك التراجع العسكري الذي طرأ على المنطقة في ظل تنامي القوى المُعادية سواء من البيزنطيين أو الايطاليين كالبنادقة وأهل بيزا[6].

وهذا ما يُحتم عليهم بشكل كبير بناء أسطول بحري رادعٍ للمتربصين بدولتهم، وكان "أبو الفتوح بلكين" أول من تنبه من أمراء بني زيري إلى حاجة بلاده إلى هذا الأسطول، ولَمَسَ ذلك من خلال حروبه ضد زناتة[7] سنة (365هـ/975م) والذين فروا إلى سبتة[1] واحتموا بها فتبعهم

1- صقلية: من جُزر بحر المغرب مقابلة إفريقية تتوسط البحر المتوسط، وهي جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين زاويته الحادة من غربي الجزيرة، كما تُعتبر من أكبر جُزره ممّا جعلها تتمتع بموقع إستراتيجي هام، لذا اتخذها البيزنطيون قاعدة لشنّ الهجومات على القوات الإسلامية مما دفع المسلمين لفتحها أيام بني الأغلب وبالتحديد سنة (212هـ/827م)على يد الفقيه أسد بن الفُرات، فأحسنوا عمارتها إلى أن سقطت بيد النورمان سنة (484هـ/1091م)، كما كانت لها أهميتها العظمى في الصراع البحري بين المسلمين والنصارى في الحوض الغربي للمتوسط، ونظراً لموقعها الجغرافي المتميز والهام بالحوض المتوسط كونها تتوسط أوروبا و بلاد المغرب، حيث شكلت همزة وصل بين الشرق والغرب، الأمر الذي أهلها إلى أن تلعب دوراً هاما في عملية التواصل الحضاري بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط، للمزيد ينظر : أبو القاسم بن حوقل النصيبي- صورة الأرض- دار مكتبة الحياة- بيروت لبنان- 1992م- دط- ص 113. ياقوت الحموي- مُعجم البُلدان- دار صادر- بيروت- 1977م- دط- ج03- ص416 و ما يليها. محمد بن عبد المنعم الحِمْيَري- الروض المعطار في خبر الأقطار- تح : إحسان عباس- ط02- مكتبة لبنان- بيروت- 1984م- دط- ص 366-367. عزيز أحمد- تاريخ صقلية الإسلامية- تر: أمين توفيق الطيبي- الدار العربية للكتاب-1980م- دط- ص 09 وما بعدها. رشيد تومي- النورمان والمسلمون في جزيرة صقلية في عهد الكونت روجر (توفي عام 1101م)- مجلة الإتحاد العام للاثاريين العرب-ع 12- ص73.

2- المقريزي- المصدر السابق- ج01- ص ص 100- 101.

3- جعفر بن أحمد الناصري- المرجع السابق- ج04- ص 157.

4- باستثناء عدد قليل من السفن تعينهم التي تركوها لمعاونة الزيريين لحماية أملاكهم من الخطر الأموي في الأندلس، ينظر: أرشيبالد لويس-القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط 500/1100م- تر: أحمد محمد عيسى- مكتبة النهضة المصرية-القاهرة- دت- دط- ص312.

5توفيق مزاري عبد الصمد- النشاط البحري بالغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحدين- منشورات دار الثقافة- المدية-2010م- دط- ص ص 40-41.

6- أرشيبالد لويس- المرجع السابق- ص 295.

7- زناتة: قبيلة بربرية من البربر البتر يعود أصلها الى بربن قيس عيلان، لها بطون كثيرة منها مغراوة، جراوة، بني يفرن، تعد من أكبر القبائل البربرية إمتدت بطونها على أقسام المغرب الثلاث، ساندت ثورات الخوارج وانضمت للأدارسة بالمغرب الأقصى، وبعد سقوط دولة الادارسة أقامت إمارات مستقلة، وكانت معادية للدعوة الفاطمية، ينظر : ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- ضبطه ووضع الحواشي والفهارس خليل

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

بلكين إليها، ويذكر ابن الأثير أنّ بلكين "وقف نصف نهار لينظر من أي جهة يُحاصرها ويُقاتلها فرأى أنّها لا تؤخذ إلاّ بأسطول فرجع عنها"[2]، فأمر واليه عبد الله محمد الكاتب الشروع في إنشاء أسطول بالمهدية وتزويده بالسلاح والرجال، وبالفعل خرج عبد الله إلى المهدية في حشد البحريين من كل أنحاء البلاد بغرض إعداد الأسطول وتجهيزه، وعبّر ابن عذارى عن طريقة جمع البحريين بقوله :" وفي ذي الحجة (من سنة 365هـ/976م) أمر أبو الفتوح العامل على إفريقية واليه عبد الله بن محمد الكاتب أن يُقيم أسطولاً بالمهدية[3] معدّةً من الرجال والسلاح، فخرج عبد الله إلى المهدية، وأخذ في حشد البحريّين في كل بلدة، وأمر أن يؤخذ كل من لقي منهم بالقيروان وغيرها و ملأ بهم السجون، وأدرك خاصة البلد وعامتهم من الخوف ما لزموا له البيوت، وانتهى حالهم إلى أنه إذا مات أحد عندهم لا يخرجه إلاّ النساء"[4]، ويؤكد لنا هذا النّص بأن عملية تجنيد البحارة أصبحت إجبارية بإفريقية وبلاد المغرب في تلك الفترة، تنفيذاً لأوامر بلكين بن زيري والذي تفطّن لمدى حاجة بلاده لوجود أسطول قوي يحمي سواحلها.

هكذا أصبح للزيريين أسطول بحري في أقل من عام واحد وأمر بلكين بخروجه من شاطئ المهدية في أول محرم سنة 366هـ/977م، إلاّ أنّ هبوب رياح شديدة حالت دون إبحاره فأقام البحريون بسفنهم في موضعهم من البحر حتى نفذت أقواتهم، فهربوا إلى الساحل بعد أنْ نهبوا ما في المراكب من عدة وسلاح[5].

وخلال عهد الأمير باديس بن أبي الفتوح (386-406هـ/997-1015م) زاد اهتمام بني زيري بالقوة البحرية؛ حيث حرص هذا الأمير على تدعيم قوته البرية والبحرية، فقد قام بجولة

شحادة- مراجعة سهيل زكار- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- 2000م- ج03- ص3 وما يليها، وللمزيد حول زناتة وتاريخها منذ الفتح الإسلامي للمغرب إلى غاية القرن الرابع الهجري، ينظر: محمد بن عميرة- دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984م- ص 15 وما بعدها.

1- سبْتة: هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، و هي مدينة حصينة بينها و بين فاس عشرة أيام، و هي على برّ البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البرّ والجزيرة، ينظر: ياقوت الحموي- المصدر السابق- ج03- ص 182.

2- ابن الأثير- الكامل في التاريخ- راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق- مج07- ط04-دار الكتب العلمية- بيروت-1424هـ/2003م- ص 361.

3- المهدية: مدينة بإفريقية قُرب القيروان على الساحل تقع بين سوسة وصفاقس، بناها عبيد الله المهدي إبتداءاً من سنة (300هـ/912م) بعد قيام جماعة كتامة عليه الذين حاولوا خلعه، وهي منسوبة إليه، وانتقل إليها سنة (308هـ/920م) وجعل لها أبراجاً من جهة البحر الغربية وبابين من حديد، وبنى فيها قصره وقصراً لإبنه القائم و داراً للصناعة، ينظر: أبو عبيد الله البكري- المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك-مكتبة المثنى- بغداد- دت- دط- ص ص 29-30.

4- ابن عذارى المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تح ج.س.كولان وليفي بروفنسال- دار الثقافة- بيروت-1983م- ط3- ج1- ص229.

5- ابن عذارى المراكشي- المصدر السابق- ج01- ص 330.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

بأسطوله لسوسة وسردانية وسواحل إفريقية في عاميّ 386 و387هـ، وعندما وصل إلى المهدية استعرض أسطوله ولعبت المراكب بين يديه و رمى النفاطون النفط[1].

كانت هذه الجهود بدايات التوجه البحري لإمارة الزيريين الناشئة بعدما كان اعتمادهم الكلي على القوة البرية دون القوة البحرية؛ وذلك لتحقيق أهدافهم بحماية سواحلهم وفرض سيطرتهم على بلاد المغرب ولاسيما بعد رحيل الفاطميين لمصر.

وعندما تولى المعز بن باديس[2] إمارة إفريقية (406-454هـ/1016-1062م) توترت العلاقات الزيرية الفاطمية، وذلك منذ أن شرع المعز بالتفكير في إعلان الانفصال السياسي والمذهبي عن الفاطميين، فازدادت عناية الزيريين بشؤون البحر ووجهوا أنظارهم إلى جزيرة صقلية وجنوبي ايطاليا وإلى مواجهة الأسطول البيزنطي الذي بدأ يفرض وجوده في المنطقة[3]، فأمر المعز سنة 414هـ/1023م بإصلاح القطائع وعمارة دار الصناعة بالمهدية وحشد البحريين وإنشاء العُدد البحرية، فأنشأ أسطولاً قوياً بلغ عدد قطعه "أربعمائة قطعة" سنة 416هـ/1025م[4].

وبعد إعلان المعز بن باديس استقلاله السياسي والمذهبي عن الدولة الفاطمية، وجّه الفاطميون قبائل بني هلال وبني سليم نحو إفريقية لإضعاف بني زيري والانتقام منهم[5]، فاستحوذت هذه القبائل على الكثير من المناطق الداخلية وأشاعت الفوضى والخراب في أنحاء بلاد المغرب[6]، مما اضطر المعز لتغيير عاصمة الدولة من القيروان إلى المهدية الأمر الذي أدى إلى انحصار ملك بني زيري على الساحل فأولو عناية فائقة بشؤون البحر.

1- توفيق مزاري- المرجع السابق- ص41.

2- هو المعز بن باديس بن بُلُكين بن مناد الحميري الصنهاجي، ولد في جمادى الأولى سنة (398هـ/1008م)، وكانت ولايته في شهر ذي الحجة سنة (406هـ/1062م) بعد وفاة أبيه و هو ابن ثمانٍ سنين وسبعة أشهر، وكانت مدة حكمه سبعة وأربعون سنة، وتوفي سنة (454هـ)، وقد استقل المعز بالدولة الزيريّة سياسياً ومذهبيّاً عن التبعية للدولة الفاطمية وبلغت الدولة الزيرية في عهده أوجها، ينظر ابن خلكان- المصدر السابق- مج5- ص333-334/ابن الأثير- المصدر السابق- ج8- ص88 ص354 .

3- السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- 1969م- دط- ص 197. توفيق مزاري- المرجع السابق- ص ص 41- 42.

4- إبن الأثير- المصدر السابق- مج 08- ص 152.

5- ابن خلدون- المصدر السابق- مج06- ص17.

6- حسين مؤنس- تاريخ المسلمين في البحر المتوسط الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية- الدار المصرية اللبنانية-القاهرة- 1993م- ط2 ص98.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

فأنشأ تميم بن المعز أسطولاً كبيراً بدار الصناعة في المهدية، ثمّ قام بغارات بحرية على جزيرة صقلية والسواحل الإيطالية وحذا ابنه يحي حذوه من بعده، وبذلك أصبحت الدولة الزيرية دولة بحرية بالدرجة الأولى[1].

2- نشاط الأسطول الزيري ضد القوى الأوروبية الغربية: أوْلى المعز بن باديس عنايةً كبيرة بالأسطول خلال عهده، فأصبحت أساطيل بني زيري قادرة على مواجهة القوات البيزنطية وقوات المدن الايطالية ففي سنة 411هـ/1020م انطلق أسطول من المهدية إلى جنوب إيطاليا فعاث فيها وعاد للمهدية غانماً[2]، كما جهّز سنة 416هـ/1025م حسب رواية ابن الأثير أسطولاً كبيراً بلغت عدد قطعه "أربعمائة قطعة"، وحشد الناس للجهاد، وأمره بالتوجه إلى صقلية بعد غزوها من طرف البيزنطيين، لكنه لم يصل إلى هدفه بسبب تعرضه لعاصفة شديدة بالقرب من جزيرة قوصرة[3] فتحطّمت معظم مراكبهم ومات الكثير من البحارة ولم ينجوا منهم إلاّ عدد قليل[4]، وفي سنة (439هـ/1047م) وجّه المعز أسطوله للهجوم على جزر القسطنطينيّة فرجع الأسطول إلى المهدية ظافراً ومُحملاً بالغنائم[5].

وبعد وفاة المعز بن باديس وتولي ابنه تميم الحكم من بعده (454-501هـ/1053-1107م) وسيطرة قبائل بني هلال وسليم على المناطق الداخلية، ممّا أدى إلى إضعاف بني زيري وانحصار ملكهم في مناطق ضيقة على الساحل فزادت عنايتهم بشؤون البحر قدر استطاعتهم، وكان من نشاط الأسطول في عهده محاولة فك الحصار على مدينة بلرمو (عاصمة صقلية)، وذلك سنة 464هـ/1071م، إلا أنه تكبد خسائر فادحة بعد هزيمته على يد النورمان[6]، وفي سنة 465هـ/ 1072م تعرضت سواحل الزيريين لهجوم السفن البيزنطية، إلاّ أنّ الأمير تميـم خرج لهم بأسطوله وتمكّن من هزيمتهم بالقرب من مدينة صفاقس[7]، وفي السنة الموالية قام تميم بحملتين بحريتين على مدينتي نقوطرة[8] ومازرة[1]، فانتصر في الأولى وغنم غنائم وافرة، وهُزم في الثانية[2].

1- السيد عبد العزيز سالم- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي-مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية-1999م- ص585.
2- الهادي روجي إدريس- الدولة الصنهاجية (من القرن10الى القرن12م)- تر حمادي الساحلي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1992م-ط1- ج1- ص207.
3- هي جزيرة صغيرة حصينة بالبحر المتوسط تقع جنوب صقلية بالقرب من ساحل افريقية، ينظر: الإدريسي- المصدر السابق- ج02- ص 587.
4- ابن الأثير- المصدر السابق- مج8- صص152- 153.
5نفسه- ص 280.
6- أماري ميكلي- تاريخ مسلمي صقلية- تر محب سعد إبراهيم وآخرون- لي مونييه فلورنسا- 2003م- مج 3- ج1- صص129-131.
7- صفاقس: مدينة تجارية قديمة بإفريقية بالقرب من قفصة، ينظر: البكري- المصدر السابق- ص 19. الحِمْيَرِي- المصدر السابق- ص 365.
8- نوقطرة: مدينة ساحلية تقع بالقرب من مدينة ربو بجنوب ايطاليا، ينظر: الإدريسي-المصدر السابق- ج02- ص 759.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

على إثر هاتين الغارتين دخل حاكم صقلية "رُجار الأول"[3] في مفاوضات مع تميم في منتصف سنة 468هـ/1074م انتهت بمعاهدة صلح بين الطرفين وتضمّنت عدم تعرض كل منهما للآخر[4].

كان للغارات التي شنها الأسطول الزيري على بلاد النصارى، ولاسيما في عهد تميم بن المعز، ردود فعل غربيّة إذْ تشكل حلف صليبي ضد الدولة الزيرية؛ حيث عمل البابا "فيكتور الثالث" على حشد جمع من رجال البحر من بيزا وجنوة، وذلك للإغارة على سواحل دولة بني زيري ردّاً على الضربات التي قاموا بها[5]، ففي سنة 480هـ/1087م وصل أسطول النصارى المكون من "ثلاثمائة مركب" عليه "30 ألف" مقاتل لضرب الحصار على المهدية، وكانت هذه الأخيرة غير محصنة مما أدى إلى انتصار النورمان[6]، كما أسرفوا في القتل والتعذيب، وعاثوا في الأرض فساداً[7]، ممّا جعل تميماً يصالحهم على "مئة ألف دينار" وعلى ما نهبوه وسلبوه من الرجال وسبوه من النساء والأطفال[8].

من هنا يتضح لنا أنه بالرغم من مقاومة تميم بن المعز للنورمان إلا أن ذلك لم يثن من إصرار وعزيمة المُعتدين، الذين أصبحوا يشكلون خطرا كبيراً على المهدية نفسها[9].

وهناك نقاط ينبغي الإشارة إليها بخصوص الهجوم الذي تعرضت له مدينة المهدية منها تكذيب تميم بخبر المُعتدين؛ بمعنى أن الصراع البحري لم يكن ضمن تفكيره، هذا وبالإضافة إلى سوء تدبير عبد الله بن منكور متولي أمر الدولة لمّا خالف قائد الأسطول وعزمه على الخروج إلى الغُزاة ومنازلتهم في البحر قبل وصولهم إلى السواحل[10]، ممّا يدل على عدم قناعة المسؤولين السياسيين في الدولة وأيضا

1- هي مدينة مشهورة بجزيرة صقلية تقع في المركز الجنوبي الغربي منها، ذات أسوار حصينة، ينظر: الإدريسي-المصدر السابق- ج02- ص 600. الحميري- المصدر السابق- ص 521.

2- الهادي روجي ادريس-المرجع السابق- ج01- ص335.

3- رُجار الأول: من الشخصيات النورماندية البارزة في أوروبا والتي كان لها دور كبير في تأسيس الدولة النورماندية في صقلية، وبعد وفاة أخيه "جيسكارد" قسّم ممتلكاته في صقلية وإيطاليا ووزعها بين أفراد أسرته وأصحابه، وسلك روجر تجاه الزيريين سياسة المهادنة وحُسن الجوار ونشأت بين الطرفين علاقات اقتصادية واستمر في هذه السياسة إلى أن توفي سنة ((494هـ/1101م)، ينظر: عزيز أحمد- المرجع السابق- ص 63-64. رشيد تومي- النورمان والحوض الغربي للمتوسط في عهد الكونت روجر الأول (ت 494هـ/1101م)-مجلة البحوث والدراسات- ع15- 2013م- ص 306.

4- الهادي روجي ادريس-المرجع السابق- ص 335.

5- السيد عبد العزيز سالم- المرجع السابق-ص 589.

6- النورمان: تعني رجال الشمال نسبة إلى موطنهم الأصلي شمال أوروبا، انتقلوا إلى شمال فرنسا واستقروا بها، توجه قسم منهم إلى جنوب إيطاليا واستولوا على جزيرة صقلية بالكامل سنة 484هـ/1091م، ينظر عزيز أحمد- المرجع السابق- صص57- 60.

7- ابن عذارى المراكشي- المصدر السابق- ج01- ص 301.

8- شكيب أرسلان- تاريخ غزوات العرب- دار الكتب العلمية- بيروت- دت- ص 301.

9- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي- تاريخ المغرب والأندلس- مكتبة نهضة الشرق- القاهرة- 1990م- ص188.

10- ابن عذارى- المصدر السابق- ج01- ص 301.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الفنيين المسؤولين عن الأسطول في قدرة و كفاءة القوات البحرية في التصدي لأساطيل العدو، بالإضافة إلى قصر الأسوار وتهدمها[1].

إن الهجوم الذي تعرضت له المهدية لم يكن مجرد رد فعل على غارات الزيريين على الجزر الإيطالية بيزا وجنوة فحسب؛ وإنما كان له أبعاد أخرى كاستعراض للقوة وكسب نفوذ سياسي واقتصادي، ضمن إطار تغير موازين القوى بين أوروبا الغربية والعالم الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري، ولاسيما جنوب ايطاليا وصقلية وافريقية بعد انسحاب الفاطميين من بلاد المغرب[2].

كما كان لهذه الغزوة الأثر السيئ في نفوس المسلمين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل واصل الروم اعتداءاتهم على الأراضي الإسلامية وذلك سنة 498هـ/1105م[3]، وهذا ما أشار إليه ابن عذارى في قوله : "...وصل الرُّمَانيون إلى المهدية بأجفان كثيرة حربية تسمى الشواني[4].

ومعهم ثمانية وعشرون مركباً...؛ فقصدوا إلى باب دار الصناعة ليمنعوا أسطول المهدية من الخروج إليهم، فخاب ظنهم وخرجت أسطول المهدية إليهم فهزموهم وقتلوا كثيرا منهم..."[5].

يبدو أن هذه الغزوات البحرية على الزيريين لم تُنْهِ حركة الجهاد، بل على النقيض من ذلك فقد حرص الأمير يحي بن تميم على تطوير أسطوله والعناية به وزيادة عدد السفن ومن ثمّ شن عدة غزوات بحرية، ولكن هذه الغزوات لم تكن على نطاق واسع، بل غارات خاطفة ومناوشة السفن التجارية المسيحية من حين لآخر عن طريق مراكب صغيرة[6].

ولمّا استفحل أمر تلك الغارات وبلغت مبلغاً كبيراً في تظليل العدو ونشر الرعب والفزع في البحر المتوسط الأمر الذي حتّم على النصارى طلب الصلح[7]، وهذا ما أشارت إليه المصادر الإسلامية فيذكر ابن الخطيب في ذلك : " وكانت له غزوات بحرية- يقصد يحي بن تميم- عملها إلى بلاد الروم إلى أن طلبوا سلمه"[8]، ويضيف القلقشندي في هذا السياق : "...وأكثر من غزو النصارى من

1- سعد زغلول عبد الحميد- تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال (الفاطميون و بني زيري الصنهاجيون الى قيام المرابطين)- منشأة المعارف- الإسكندرية- 1993م- ج03- ص466/السيد عبد العزيز سالم- المرجع السابق- ص 589.

2- سعد زغلول عبد الحميد- المرجع السابق- ج03- ص 466.

3- السيد عبد العزيز سالم- المرجع السابق- ص 590 .

4- الشواني: وتسمى أيضاً الشواني الحربية، جمع شونة أو شيني، وهي أهم القطع التي كان يتكون منها الأسطول في الدولة الإسلامية وفي الدولة الرومانية و أهمها شأناً وهي أجفان (مراكب) حربية كبيرة كانوا يقيمون فيها أبراجاً وقلاعاً للدفاع والهجوم، والشيني أيضاً مراكب حربية لحمل المقاتلة للجهاد، وكان متوسط ما يحمله الشيني الواحد من المقاتلين يقارب 150 مقاتلاً، ينظر : عبد الفتاح عبادة- سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام- مطبعة الهلال بالفجالة- مصر- 1913م- ص 04.

5- ابن عذارى- المصدر السابق- ج01- ص 302.

6- السيد عبد العزيز سالم- المرجع السابق- ص 590. الهادي روجي ادريس- المرجع السابق- ج01- ص 363.

7- الهادي روجي ادريس- المرجع السابق- ج01- ص 363.

8- لسان الدين ابن الخطيب- تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام- تح: ليفي بروفنسال- دار المكشوف- بيروت- 1956م- ط2- ج2- ص327.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الفرنجة حتى أعطي الجزية من وراء البحر..."[1]. وكان من أعظم من طلب الصلح من الأمير يحيى إمبراطور القسطنطينيّة "ألكسيس كومين"، حيث أرسل رسوله سنة 509هـ/1115م طالباً الأمان وعقد الصُلح وكف الأسطول الزيري عن الهجوم على بلاده[2].

ففي سنة 503هـ/1109م جهز يحيى بن تميم من أسطوله خمسة عشر غُراباً[3]، لغزو بلاد الروم فأصيب منها ستة وعادت الأخرى إلى المهدية، وكذلك سنة 507هـ/1113م قام أسطول المهدية بسبي كثير من بلاد النورمان، وبحلول سنة 508هـ/1114م هجم الروم على ميورقة[4] وضربوا عليها حصاراً شديداً، ثمّ دخلوها بقوة السيف وقتلوا رجالها وسبوا نساءها، وبعد ذلك تمكن علي بن يوسف[5] من استعادتها من أيدي الروم[6].

وعلى العموم فقد ظلت العلاقات بين بني زيري والنورمان طيبة طوال عهد يحيى، وذلك إحتراماً للصلح المبرم بين رجار الأول وتميم، وهذا ما يدل على قوة الأسطول الزيري في عهد الأمير يحيى بن تميم الذي فرض وجوده في الحوض الغربي للبحر المتوسط كقوة بحرية لا يُستهان بها، الأمر الذي جعل مختلف القوى الأوروبية تسارع لطلب الصلح وإقامة معاملات تجارية معه[7].

وهذا راجع للسياسة الرشيدة التي اتبعها الأمير يحيى؛ فقد استغل فترة الرخاء والاستقرار في عهده، كما اعتنى بالأسطول وطوره بإنشاء قطع بحرية جديدة[8]، وصالح أمراء قابس الهلاليين طول فترة حكمه لضمان أكبر قدر ممكن من حالة الاستقرار والهدوء داخل البلاد[9]، ومن ثمَّ التفرغ لعمليات الجهاد البحري ضد النصارى، وقد نجحت سياسته هاته وآتت أكلها حتى طلب النصارى الأمان وعقد الصلح معه كما وضّحنا سابقاً.

1- القلقشندي- صُبح الأعشى في صناعة الإنشا- المطبعة الأميرية بالقاهرة- القاهرة- 1333هـ/1915م- ج5- ص 124.

2- أماري ميكيلي- المرجع السابق- ج3- ص 362.

3- الغراب: من المراكب الحربية الشديدة البأس التي استعملها المسلمون والفرنج في الغارة و الغزو البحري، وقد اعتمدت على المجاذيف والأشرعة بحيث تستعيض بالأولى عن الأخيرة في حال ركود الرياح، وسُميت بالغراب لرقتها وطولها وسوادها بالأطلية المانعة للماء عنها كالزفت وغيره فصارت تشبه الغراب، ولأن مقدمتها كانت على شكل غراب، ينظر عبد السلام الجعماطي- دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي- دار الكتب العلمية- بيروت- 2012م- ط1- صص61-62/درويش النخيلي- السُفن الإسلامية على حروف المعجم- مطابع الأهرام التجارية- الإسكندرية- 1984م- ص104.

4- ابن عذارى- المصدر السابق-ج1- صص305-306.

5- علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة الصنهاجي اللمتوني، ولد سنة 447هـ/1055م، عهد له أبوه من بعده حكم دولة المرابطين سنة 500هـ/1106م، توفي سنة 537هـ/1143م، ينظر ابن أبي زرع- الأنيس المُطرب بروض القِرطاس في أخبار مُلوك المغرب وتاريخ مدينة فاس- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط- 1972م- ص 165.

6- ابن عذارى- المصدر السابق-ج01- ص 305.

7- الهادي روجي إدريس- المرجع السابق- ج01- ص 363.

8- أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني- رحلة التجاني- الدار العربية للكتاب- تونس- 1981م- دط- ص 97- 98.

9- إبن الأثير- المصدر السابق- مج09- ص ص 169- 170.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

لكن بعد وفاته تراجعت قوة الأسطول الزيري وتدهورت أوضاعه؛ وذلك لفشل خلفائه في إتباع نفس سياسته البحرية من بعده، فوقعوا في صراع مع بني قابس الهلاليين ممّا أدى إلى تحالفهم مع النورمان ضدهم وبالتالي صراع الزيريين مع الجبهتين معاً[1]، بالإضافة إلى تعرض أهل المغرب إلى المجاعة والغلاء بسبب انتشار القحط والجفاف وخاصة إفريقية ومدنها الساحلية، ووصلت هذه المجاعة أشدها ما بين سنتي 537-542هـ(1142-1148)، وتبعها وباء كثير أدى إلى موت الكثير منهم، فكان لها تأثير عظيم على بني زيري وقوتهم البحرية وحركة أسطولهم.

3- نشاط الأسطول الزيري ببلاد المغرب: كان للأسطول الزيري دور هام ببلاد المغرب، حيث ساهم في إخضاع الثورات الداخليّة والدفاع عن المدن وحماية السواحل من التحرشات الغربية وأعمال القرصنة التي كانت تُمارس ضد المراكب التجارية، أمثال أهل جزيرة جربة[2] الذين اتخذوا من أعمال القرصنة مهنة لهم.

1.3- الأسطول الزيري وجزيرة جربة: في عهد المعز بن باديس ثار أهل جزيرة جربة واستفحل أمرهم و راحوا يهاجمون المراكب الإسلامية و رأى المعز أنه من الضروري وضع حد لهم، فأمر أسطوله سنة 431هـ/1039م بالتوجه إلى الجزيرة فحاصرها ودخلها وقتل الثائرين وأخضعها إلى سلطته ومنع أهلها من عمليات القرصنة التي كانت تمارس ضد السفن[3].

ولكن هذا لم يدم طويلاً فبعد وفاته عاد أهل الجزيرة إلى سيرتهم الأولى، بممارسة أعمال القرصنة ضد السفن المارة على سواحل البحر المتوسط وأنشئوا لهذا الغرض المراكب[4]، ممّا دفع الأمير تميم بن أبي الحسن إلى إرسال أسطوله إلى الجزيرة سنة 499هـ/1105م بغية إخضاعها إلا أنه اصطدم باستماتة أهلها ومقاومتهم الشديدة للقوات الزيرية وبالتالي لم تحقق هذه الحملة أهدافها[5].

لكن مع تولي علي بن يحيى بن تميم سُدّة الحكم سنة 509هـ/1116م واسْتتب أمره، وجّه أنظاره لغزو الجزيرة وذلك بدعوى الممارسات التي قام بها أهل الجزيرة تجاه السفن البحرية، وبعد المشاورة بينه وبين قائد الأسطول إبراهيم بن عبد الله والمسؤولين في الدولة، انطلق الأسطول سنة

1- ابن عذارى- المصدر السابق- ج1- ص312/أماري ميخائيل- المكتبة العربية الصقلية نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع- تح: أماري ميخائيل- ليبسك- 1957م- ص292.

2- جربة :جزيرة بالبحر المتوسط من ناحية افريقية قرب قابس، الحميري- المصدر السابق-ص 185/ياقوت الحموي- المصدر السابق- ج02- ص118.

3- عدلي محمد علي صالح الهناندة، أوضاع الأسطول الإسلامي في المغرب خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين- رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية- قسم التاريخ- كلية الاداب- جامعة اليرموك- 1419هـ/1998م- ص51.

4- التجاني- المصدر السابق- ص125.

5- ابن عذارى المراكشي- المصدر السابق- ج01- ص 302.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

510هـ/1117م، وضربوا عليها الحصار حتى خضع أهلها واستكانوا، وتعهد أشياخهم بالكف عن تلك الممارسات على ساحل إفريقية وأن لا يتجاوزوا بتجارتهم المهدية، لذا وافق الأمير علي بن يحيى على ذلك، وبعد أن أنهى الأسطول مهمته عاد إلى قاعدته في المهدية[1].

2.3- دور الأسطول الزيري في إخماد ثورة بني جامع أمراء قابس: بعد غزو قبائل بني هلال وبني سليم بلاد المغرب وسيطرتهم على مناطق شاسعة منه، تمكنوا من تأسيس عدّة إمارات وكان منها إمارة قابس التي أسسها بنو زُغبة من بني هلال ثم غلبهم عليها بنو جامع من بني رياح الهلاليين وذلك سنة 489هـ/1095م[2].

وقد تمكن "رافع بن مكن"[3] من الاستيلاء على مدينة قابس[4] والسيطرة عليها وذلك في عهد تميم بن المعز، ولما خلف تميماً ابنه يحيى صَالح الأمير المتغلب "رافع بن مكن" طوال فترة حكمه[5]، فعزم هذا الأخير الشروع في صنع سفينة بساحل المدينة وذلك بهدف التجارة ونقل التجار، هذا العمل لم ينكره الأمير يحيى وإنما وصل به الأمر إلى مساعدته بكل ما يحتاج إليه من مواد الصُنع كالخشب والحديد، وبعد وفاة الأمير يحيى سنة 509هـ/1115م خلفه ابنه الأمير علي والذي أبدى عدم الرضا على التوجه البحري لأمير قابس، الأمر الذي خشي منه رافع لذا إلتجأ لصاحب صقلية "رُجار الثاني"[6] واجتمع معه طالبا نصرته، هذا الأخير وجد في ذلك فرصة سانحة للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة الزيرية، وإبراز مكانته وقوته العسكرية على سواحل حوض المتوسط، وعهد إليه بأن يقدم له الدعم اللازم لإجراء السفن في البحر، وأرسل على الفور أسطولاً إلى ساحل قابس[7].

حينما علم علي بذلك أراد أن يستشير رجال دولته قبل أن يقدم على أي خطوة لمواجهة رجار الثاني، وخلص المجتمعون على ضرورة سحب الأسطول الذي أرسله علي لمنع هذه السفينة من

1- التجاني- المصدر السابق- ص125- 126/ابن عذارى- المصدر السابق- ج1- ص306.
2- ابن خلدون- المصدر السابق- مج6- ص606.
3- رافع بن مكن بن كامل بن جامع الدهماني كان هو الحاكم بأمره في إمارة قابس الهلالية، و قد إستولى عليها في عهد تميم بن المعز بموافقة هذا الأخير و على كرهٍ منه، ينظر الهادي روجي إدريس- المرجع السابق- ج1- ص377.
4- قابس: مدينة على ساحل البحر من بلاد الجريد بإفريقية على خليج يحمل اسمها، تقع بين طرابلس وصفاقس بالقرب من مدينة القيروان، ينظر: البكري- المصدر السابق- ص 17. الحميري- المصدر السابق- ص 450.
5- الهادي روجي إدريس- المرجع السابق- ج01- ص 377.
6- رُجار الثاني : من أشهر حكام صقلية في عهد النورمان حكم ما بين (504-548هـ/1111-1154م)، تميزت سياسته بالتسامح مع مسلمي صقلية، استلم الحكم من أمه التي كانت وصيةً عليه بعد موت أبيه رجار الأول، ينظر عزيز أحمد- المرجع السابق- ص 64.
7- التجاني- المصدر السابق- ص 98. إبن الأثير- المصدر السابق- مج09- ص169.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الإبحار وغضّ الطرف عمّ يقوم به أمير قابس مغبة الحفاظ على المصالحة التي جرت بينه وبين رجار الثاني[1].

شهدت العلاقات بين رجار الثاني وعلي بن يحيى فتوراً بسب هذه المسألة المتمثلة في رغبة رافع في احتكار التجارة البحرية، فضلاً عن ذلك كان يرى علي أن ذلك يمس بهيبته ومكانته لذا آنف الرضوخ لرجار، وأمر بقية الأسطول بالتوجه إلى قابس لمُلاقاة أسطول صقلية حيث تمكن من إلحاق الهزيمة به[2].

وفرض الأسطول الزيري حصاراً على مدينة قابس، واستمر هذا الحصار مضروباً حتى شتاء سنة 511هـ/1117م ثم عاد أدراجه، ورغم حصار مدينة المهدية إلا أنها لم تسقط، ومرد ذلك إلى أن الهجوم لم يكن من جهة البر والبحر في آنٍ واحد[3].

بعد ذلك انصرف علي بن يحي لتجهيز العدة لمواجهة الأمير المُتغلب رافع براً وبحراً، كما جند في صفوفه بعض قبائل البربر، ولما علم بذلك المتمرد رافع سعى لطلب الصلح ولكن الأمير الزيري لم يأبه بذلك[4]، وفي المواجهة التالية نشب قتال شديد بين الفريقين إنتهى بانتصار علي بن يحيي، وسبب هذه الانتصارات هي السياسة التي انتهجها علي إذْ منح الأموال لبعض الأعراب للانضمام لجيشه، علاوة على الانشقاقات التي حدثت في صفوف جيش رافع[5].

3.3- الصراع البحري الزيري الحمادي: استغل الحماديون الأزمات الداخلية التي كانت تمر بها الدولة الزيرية للهجوم على المهدية سنة 529هـ/1134م، وذلك بدعوى أنّ الحسن بن علي الزيري قد قرّب إليه ميمون بن زياد وفضّله على غيره من سائر أمراء القبائل الأخرى ممّا آثار غضبهم، لذا طلبوا من يحيى بن عبد العزيز الحمادي أن يرسل جيشه إلى المهدية[6]، زدْ على ذلك الهدنة المجحفة التي أبرمت بين الحسن بن علي ورجار الثاني صاحب صقلية، التي كانت سبباً لاتصال أهل المهدية بيحي بن عبد العزيز الحمادي لدخول المهدية وتعهدوا له بأن يهيئوا له الطريق لذلك[7]، ويذكر ابن

1- التجاني- المصدر السابق- ص 98. رشيد تومي- الحوض الغربي للبحر المتوسط في عهد روجر الثاني (1101-1154م) بين أطماع النورمان وضعف القوى الإسلامية- مجلة الدراسات التاريخية- ع 01- جامعة الجزئر2- 1986م- ص 69.

2- التجاني- المصدر السابق- ص98/السيد عبد العزيز سالم- المرجع السابق- صص591- 592 .

3- الهادي روجي ادريس- المرجع السابق- ج01- ص 379.

4- ابن عذارى- المصدر السابق- ج01- ص307. الهادي روجي إدريس- المرجع السابق- ج01- ص 379.

5- الهادي روجي ادريس- المرجع السابق- ج01- ص 380.

6- عدلي محمد علي- المرجع السابق- ص 56.

7- ابن أبي دينار- المؤنس في أخبار افريقية وتونس- مطبعة الدولة التونسية- 1286هـ- ط1- ص90/عدلي محمد علي- المرجع السابق- ص56.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

أبي دينار في هذا الشأن : "...ثم بعث إليهم جيشا في البر ومراكب في البحر، وبعث مقدم الجيش الفقيه مطرفاً، فنازلها براً وبحراً وجاءته الغربان من كل فج وطال الحصار على أهل المهدية..."[1].

ولِدرءِ هذا الخطر المحدق بالدولة لجأ الأمير الزيري الحسن بن علي لعقد حلف مع النورمان أعداء الأمس كما استعان بقبائل بني هلال[2]، عندئذ أرسل رجار الثاني ملك صقلية أسطوله لمساندة الزيريين، كما أعطى تعليمات لقائد الأسطول بأن يترك للحسن بن علي حرية التصرف فيه[3].

استطاع الأسطول الحمادي في بادئ الأمر تحقيق بعض الانتصارات على حساب الزيرين حيث تمكن من إحكام السيطرة على السواحل الزيرية، والاقتراب تدريجيا من أسوار المهدية متبعاً في ذلك خطة حربية ترمي إلى منع الأسطول الزيري من الخروج من مراسيه، ونظراً لشدة الحصار المضروب على المهدية، أصدر الحسن بن على أمراً بفتح الباب على الشاطئ ثم وقع الهجوم على الحماديين وكان حاسماً، حيث تمكن الأسطول الزيري من الخروج من مرسى المهدية ودارت معركة بحرية ضارية بين الطرفيين انتهت بهزيمة مدوية للحماديين والاستيلاء على أربع قطع من أسطولهم[4].

4- الأسطول الزيري وهجمات النورمان على المدن الساحلية المغربيّة: لقد ضاعت صقلية من أيدي المسلمين أيام بني زيري ولكنهم لم يكونوا مسؤولين عن ذلك، بل تقع المسؤولية على الفاطميين، الذين احتفظوا بصقلية تابعة لهم بعد انتقالهم إلى مصر، وكانوا على علم بأنهم لا يستطيعون حمايتها، ولكنهم أبَوا إلاّ أن تُفصل صقلية عن افريقية التي كانت البلد الإسلامي الوحيد الذي يستطيع تأمين الحماية لها وتقديم النجدة في حالة ظهور الخطر[5].

ورغم المحاولات التي بذلها الزيريون للسيطرة على جزيرة صقلية، إلا أنهم فشلوا في ذلك مقارنة بالفاطميين سابقاً، إذْ أنهم اصطدموا بقوة النورمان الناشئة، الذين باتوا يفرضون وجودهم في الحوض الغربي للمتوسط، ويتوسعون على حساب المسلمين في الجزيرة بالاستيلاء على مدنهم وقلاعهم[6].

1- ابن أبي دينار- المصدر السابق- ص 90.
2- عزيز أحمد- المرجع السابق- ص 66.
3- ابن ابي دينار- المصدر السابق- ص 90.
4- عدلي محمد علي- المرجع السابق- ص 57.
5- حسين مؤنس- معالم تاريخ المغرب والأندلس- دار الرشاد- القاهرة- 1421هـ/2000م- ط5- ص 176.
6- توفيق مزاري- المرجع السابق- ص 42.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

استطاع رجار الأول اكتساح الجزيرة شيئا فشيئا وإخضاعها لسلطته، ممّا جعل جماعة من أهلها يتوجهون إلى الأمير المعز بن باديس، يطلبون نجدته ويشكون ما أصابهم من فعل النورمان، ولهذا قرر المعز بن باديس إرسال حملة عسكرية إلى الجزيرة لنصرتهم، ولكن أسطوله تعرض لعاصفة بحرية أثناء إبحاره إليهم وغرق الكثير من جنده ولم ينج إلا عدد قليل منهم[1].

أحدثت هذه الحملة التي أرسلها المعز بن باديس إلى صقلية انعكاسات خطيرة على الشأن الداخلي الزيري حيث قوي نفوذ العرب وسيطروا على افريقية، هذا ومن جهة أخرى تمكن النورمان من الاستحواذ على غالبية بلاد صقلية تدريجياً في حين انشغل المعز في مجابهة العرب[2]، ولمّا تولى تميم بن المعز الحكم بعد وفاة والده بعث أيضاً أسطولا إلى الجزيرة، بقيادته ولديه "أيوب وعليّاً"، ولكن نشب خلاف وفتنة بين أهل مدينة جرجنت[3] وقادة الحملة ممّا أدى إلى رجوع الأسطول دون تحقيق أهدافه وبقيت الجزيرة في قبضة النورمان[4].

لقد أخذت العلاقات بين المهدية وصقلية منحى آخر وشابها التوتر بفعل قضية أمير قابس رافع بن مكن، حيث استحكم العداء بين علي ورجار الثاني اللّذان كانت تربط بينهما علاقة صداقة سابقاً، خاصةً عندما حدث صدام بين أسطوليهما على ساحل قابس[5]، ورأى الأمير علي بعد هذه الأزمة ضرورة تعزيز الأسطول وتقويته استعداداً للحرب، فعمّر عشرة مراكب حربية وثلاثين غراباً بكل ما تحتاجه من عتاد ومؤونة، وكان علي يدرك تماما عدم قدرته مجابهة رجار الثاني وحده لذا راسل أمير دولة المرابطين لتعزيز قوته واقتحام صقلية لإنهاء هيمنة النورمان عليها، في حين أن رجار الثاني بعث سنة 513هـ/1119م رسولاً إلى علي لتجديد العهود وتأكيد العقود وطلب أموالاً له كانت موقوفة في المهدية بطريقة استفزازية فردّ علي على ذلك بالمثل ممّا زاد التوتر بين الطرفين[6]، وبدأ الأمر جليّاً على أن النورمان سيستولون على المهدية ويحتلونها، ولذا تمّ الاستنجاد بدولة المرابطين القائمة في المغرب الأقصى[7].

1- ابن الأثير- المصدر السابق- مج8- ص473/السيد عبد العزيز سالم- المرجع السابق- ص 588.
2- ابن الأثير- المصدر السابق- مج08- ص 473.
3- مدينة بجزيرة صقلية من المدن المتحضرة قديمة العمران عامرة بالتجارة، كما تعد من أعظم الحصون لها قلعة سامية حصينة قريبة من البحر، ينظر: الحميري- المصدر السابق- ص 493.
4- ابن الأثير- المصدر السابق- مج08- ص 474.
5- الهادي روجي إدريس- المرجع السابق- ج01- ص 381.
6- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي- المرجع السابق- صص211- 212.
7- حسين مؤنس- معالم تاريخ المغرب- المرجع السابق- ص 172.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وأخذ علي كافة الاستعدادت الضرورية لتوجيه حملة مشتركة بينه وبين المرابطين على صقلية، إلا أن ذلك لم يتم فقد توفي سنة 515هـ/1121م، رغم ذلك فقد شكّل هذا التكتل قوة رادعة لإبعاد الخطر الداهم ولو لفترة[1].

وخلف علي بن يحيى ابنه الحسن (515-543هـ/1121-1148م) وهو آخر أمراء دولة بني زيري، وفي عهده قام قائد أسطول المرابطين أبو الفتوح عبد الله بن ميمون بالهجوم على جزيرة صقلية وتمكن من فتح مدينة "نوقطرة" وهي تابعة لرجار الثاني[2]، حيث سبي نساءها وأطفالها واستولى على ما فيها، فلم يشك رجار الثاني أن الباعث لذلك والمتسبب فيه هو الحسن، فحشد من القوة ما لم يعهده من قبل، وحين بلغ الخبر أمير إفريقية أمر للتأهب لذلك[3]؛ إذْ تمّ جمع (مئة ألف راجل وعشرة آلاف فارس) استعداداً لحرب صاحب صقلية[4].

انطلق أسطول صقلية المكون من ثلاثمائة مركب وألف فارس صوب المهدية سنة 516هـ/1122م، ورسى بها بقيادة "جورجي الأنطاكي" ووصل سواحل إفريقية في نفس السنة، واستولى جورجي على جزيرة قوصوه، وواصل هذا الأسطول زحفه حتى وصل سواحل المهدية وإحتل جزيرة الأحاسي وقصر الديماس[5]، ولكن جيش المسلمين تمكن من اقتحام الجزيرة وإلحاق الهزيمة بالمعتدين، وحاصروا قصر الديماس حتى اضطر جيش رجار إلى طلب الأمان من الأمير الحسن، لكن العرب المنضوين في جيشه رفضوا ذلك، وما إن انسحب الصقليون من الجزيرة حتى قتل أغلبهم[6]، وغنم المسلمون مراكبهم وأسلحتهم وأموالهم، ورفع هذا الانتصار من معنويات الجيش الإسلامي بعد طول خمود[7]، عندئذ أدرك صاحب صقلية استحالة احتلال المهدية في هذا الوقت، لذا قرّر تأجيل ذلك لفرصة مواتية والاستعداد لحملة أخرى[8].

ومضى النورمان في اعتداءاتهم حتى تمكنوا من احتلال المهدية عاصمة الزيريين وسقوطها سنة 543هـ/1148م[9]، مُستغلين في ذلك الظروف العصيبة التي كانت تمر بها بلاد إفريقية من قحط

1- رشيد تومي- الحوض الغربي للبحر المتوسط- المرجع السابق- ص 70.
2- ابن عذارى- المصدر السابق- ج01- ص 308. السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي- المرجع السابق- ص 213.
3- الهادي روجي ادريس- المرجع السابق- ج01- ص 393.
4- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي- المرجع السابق- ص 213.
5- التجاني- المصدر السابق- ص 335.
6- الهادي روجي ادريس- المرجع السابق- ج01- ص 394.
7- التجاني- المصدر السابق- ص 336 و ما بعدها/السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي- المرجع السابق- ص 214.
8- عبد الرحمن ابن خلدون- المصدر السابق- ج6- ص214/السيد عبد العزيز سالم- المرجع السابق- ص 593.
9- شكيب أرسلان- المرجع السابق- ص 302.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وغلاء وانتشار رهيب للمجاعة و الوباء[1]، فتمكن رجار الثاني من هزيمة الحسن بن علي بن يحي بن تميم الذي خرج منها إلى بجاية، ثم إلى قلعة بني حماد يلتمس من صاحبها وابن عمّه نُصرته فقابله بالرفض[2]، ويبدو أنّ سبب رفضه هو العداء القديم بين الحماديين وأبناء عمومتهم الزيريين، كما يكون قد تخوف من أن يطمع في ملكه فيحيك له الدسائس والمؤامرات، أو ربما تخوفه من انتقام النورمان يكون قد دفعه إلى ذلك، فيكون بذلك قد ضمن سلامته وأمن أراضيه من غاراتهم كونه أوى واستقبل عدواً لهم.

واصل سيره إلى أن بلغ عبد المؤمن بن علي (أمير الموحدين) وطلب منه نصرة المهدية واستعادتها من يد العدو[3]، واتخذ النورمان المهدية قاعدة لاعتداءاتهم على المناطق المجاورة، واستمر الحال كذلك إلى أنْ طردهم عبد المؤمن بن علي سنة 555هـ/1160م[4]، ووحّد بلاد المغرب كلها[5].

5- عوامل تدهور وضعف الأسطول الزيري ونتائجه على إفريقية وبلاد المغرب: ساهمت عدة عوامل في تدهور البحرية الزيرية نجملها في النقاط التالية:

- كان لانتقال الفاطميين إلى مصر سنة 361هـ/971م، ونقل معظم وحدات أسطولهم إلى الحوض الشرقي للمتوسط بالغ الأثر في احداث نوع من الفراغ البحري للقوى الإسلامية في الحوض الغربي للمتوسط، الأمر الذي جعل الزيريين في حالة وهن وضعف كبيرين أدى إلى فقدان كثير من المراكز الساحلية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وذلك لفشلهم في سد ذلك الفراغ البحري لافتقارهم للقوة البحرية[6].

- سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة 422هـ/1031م، وتفكك الوحدة السياسية للأندلس، وانقسام البلاد إلى إمارات صغيرة متصارعة عُرفت بدويلات الطوائف، الأمر الذي أدى إلى تفتت الأسطول الأندلسي وانحساره تماماً، وذلك بعد هزيمة الأسطول العامري في معركة بحرية فاصلة سنة 407هـ/1016م أمام بيزا وجنوة، وبالتالي لم تعد هناك قوة بحرية مركزية موحدة كما كان الحال في عصر الخلافة[7].

1- ابن عذارى- المصدر السابق- ج01- ص 302.
2- الحميري-المصدر السابق- ص 562.
3- السيد عبد العزيز- المرجع السابق- صص593- 594.
4- الجِمْيَري- المصدر السابق- ص 562.
5- ابن أبي زرع الفاسي- المصدر السابق- ص 124.
6- توفيق مزاري- المرجع السابق- ص ص40-41.
7- السيد عبد العزيز سالم ومختار العبادي- المرجع السابق- ص 201.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

- ساعد على إضعاف البحرية الإسلامية في المغرب مع مطلع القرن الخامس الهجري تنامي نشاط القوى البحرية المناوئة للمسلمين؛ لاسيما أساطيل المدن الإيطالية والنورمان الذين أخذوا يغيرون على السواحل الإسلامية بالمغرب والأندلس[1].

- الغزو الهلالي لافريقيّة، والذي كان له بالغ الأثر في إضعاف الإمارة الزيرية الناشئة، وتمزيق الوحدة السياسية للمغرب الأدنى والتي كانت خاضعة لحكم الزيريين، وذلك بإحداث فوضى وعدم استقرار ممّا أدى إلى دخولهم في صراعات مع هذه القبائل العربية وخاصةً مع أمراء قابس المتحالفين مع النورمان، وفقدان الكثير من المناطق الداخلية التي كانت تابعة لهم، كما جعلهم ينحصرون نحو المناطق الساحلية وأصبح لزاماً عليهم التصدي لهجمات الأسطول النورمندي على سواحل بلادهم[2].

- ومن العوامل التي أدت إلى تدهور أسطول المهدية تدريجيّاً هو عجز البحرية الصنهاجية عن صناعة قطع جديدة أو على الأقل تجديد قطع الأسطول بسبب عدم توفر مادة الخشب والمواد اللازمة لصناعة السفن في المناطق الخاضعة لنفوذهم، وذلك نتيجةً للفوضى التي تسببت فيها قبائل بني هلال والتي حالت دون تمكن الزيريين من جلبه من المناطق الداخلية، مما اضطرهم إلى استيراده من بلاد النصارى بأسعار باهضة،،وقد تعذر عليهم شراؤها لغلاء سعرها جراء ما كانت تعانيه الدولة من أوضاع متردية وتقلص مواردها خاصةً في فترات القحط والغلاء[3].

- الحروب والصراعات الداخلية مع جيرانهم وبني عمومتهم الحماديين الأمر الذي أضعف كاهل الدولة، بالإضافة إلى اجتياح المجاعة والقحط لبلاد المغرب والذي كان له تأثير كبير على وضع الأسطول ونشاطه[4].

وأمّا بخصوص نتائج وأثر هذا التدهور والضعف الذي وصلت إليه البحرية المغربية في عهد بني زيري هي كالتالي :

- عدم تمكن بني زيري من سد الفراغ البحري الذي تركه الفاطميون، وفشلهم في تدارك التراجع العسكري الذي طرأ على المنطقة، الأمر الذي أدى إلى تغير موازين القوى لصالح المدن الإيطالية والقوى النورمانية وتنامي نشاطهم، حيث كثفوا من غاراتهم على السواحل الإسلامية[1].

1- نفسه- ص204/توفيق مزاري- المرجع السابق- ص 47.

2- ابن عذارى- المصدر السابق- ج1- ص302 وما بعدها/التجاني- المصدر السابق- ص20 وما بعدها/ابن خلدون- المصدر السابق- ج6 ص20 وما بعدها/حسين مؤنس- المرجع السابق- ص170 وما بعدها.

3- الهادي روجي ادريس- المرجع السابق- ج2- ص 146.

4- ابن عذارى- المصدر السابق- ج1- ص302/ابن خلدون- المصدر السابق- ج6- ص228 وما بعدها/عبد الحليم عويس- دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري- دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة- 1411هـ/1991م- ط2- صص171-172.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

- فشلهم في الإحتفاظ بجزيرة صقلية تحت الراية الإسلامية وسقوطها تدريجيّاً في يد النورمان، وبذلك أصبح الحوضان الأوسط والغربي للبحر المتوسط مناطق نفوذ لقوى النصارى، واتسعت آمالهم في مهاجمة المسلمين ببلادهم[2].

- عدم تمكنهم من حماية سواحل افريقية والمغرب الأوسط من سطوة السفن النورماندية، ممّا أدى إلى سقوط معظم الجزر والمدن الساحلية في قبضتهم، وتمكن النورمان في النهاية من احتلال عاصمة الزيريين المهدية والقضاء على أسطولهم ودولتهم[3].

الخاتمة : ممّا تقدم ذكره تبيّن لنا عدّة نقاط أهمها:

- كانت إفريقية وبلاد المغرب مع مطلع القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي تحت حكم الدولة الفاطمية التي تكفلت بمسؤولية العمل البحري، ولكن بتغير وجهتها نحو المشرق الإسلامي وعهدها لبني زيري بتولي أمور البلاد، حولت معها معظم قطع الأسطول البحري من إفريقية إلى مصر الأمر الذي جعل الزيريين في حالة ضعف كبير، ولم تكن لهم القدرة الكافية لحماية المراكز الساحلية المغربية وسد الفراغ البحري الذي تركه الفاطميون.

- أحدث الغزو الهلالي لبلاد المغرب و لاسيما في إفريقية بالغ الأثر في إضعاف الإمارة الزيرية الناشئة وذلك بإحداث فوضى وعدم استقرار، فضلاً عن فقدان الكثير من المناطق الداخلية مما جعل بني زيري ينحصرون نحو المناطق الساحلية، وهذا ما فرض عليهم ضرورة إنشاء أسطول بحري يقيهم من الاعتداءات الخارجية.

- القوة البحرية التي بلغها بنو زيري كان لها تأثير مشهود خاصةً وأن مصير الدولة كان مرتبطاً بالبحر، لذا سعى الزيريون لتطوير التجارة وحمايتها من القرصنة المسيحية، وكذا العمل على تعزيز الجهاد البحري بغية مواجهة الأسطول النورماني الذي بدأ يفرض وجوده في المنطقة.

- شهد الأسطول الزيري حالةً من الضعف والاضطراب والتدهور في أغلب فترات عصره؛ وذلك بسبب انتقال الفاطميين لمصر ونقل معظم وحدات أسطولهم إلى الحوض الشرقي للمتوسط، اضافةً إلى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس (422هـ/1031م) وتفكك الوحدة السياسية للأندلس وانقسام البلاد إلى إمارات صغيرة متصارعة عُرفت بدويلات الطوائف، ونتيجةً لذلك لم يعد هناك أسطول أندلسي موحد كما كان الحال في عصر الخلافة، الأمر الذي أدى إلى تنامي نشاط القوى البحرية المناوئة للمسلمين لاسيما أساطيل المدن الإيطالية والنورمان، ممّا تسبب في تدهور

1- توفيق مزاري- المرجع السابق- ص 47.
2- حسين مؤنس- تاريخ المسلمين- المرجع السابق- ص ص 19-20.
3- ابن الأثير- المصدر السابق- ج09- ص 351.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد12- العدد3 (نوفمبر) 1444هـ/2022م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-012-003
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وضعف البحرية الإسلامية بالغرب الإسلامي في تلك الفترة، ومن العوامل التي كانت سبباً في تدهور الأسطول الزيري أيضاً نقص مادة الخشب، بالإضافة إلى حالة الفوضى والخراب التي تسببت فيها قبائل بني هلال والتي حالت دون تمكن الزيريين من جلبه من المناطق الداخليّة، زدْ على ذلك عجز البحرية الصنهاجية عن صناعة قطع جديدة، فلم يتمكن الزيريون بالرغم من كل الجهود المبذولة من تكوين أسطول قوي يحل محل الأسطول الفاطمي بعد انتقاله إلى مصر، والأكيد أن بحرية بني زيري لم تبلغ من القوة وحُسن التنسيق ما بلغته بحرية الفاطميين وبحرية الأغالبة من قبلهم.

- يبدو أنّ الأسطول الزيري عرف في بعض فتراته قوةً خاصةٌ في عهد الأمير يحي بن تميم، فأخذ على عاتقه اخضاع الثورات الداخليّة والدفاع عن المدن المغربية وحماية السواحل الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ليس هذا فحسب بل القيام بعمليات غزو وجهاد بحريين إلى سواحل أوروبا، ولكن في فترات أخرى وخاصةً في السنوات الأخيرة من حكمهم بدأ الأسطول الزيري في حالة انهيار وتلاشي بالرغم من كل محاولاتهم الجادة في إنشاء أسطول قوي وامتلاك قوة بحرية.

- يتضح لنا كذلك من خلال هذه الدراسة المتواضعة تَغَلُّب الوظيفة العسكرية على تحركات الأسطول الزيري، ويبدو أن هذا راجع لعدم استقرار الدولة عسكرياً لتأثرها بظروف العصر(نمو القوى البحرية الغربية المُعادية للمسلمين واعتداءاتهم على السواحل والمدن المغربية خصوصاً النورمان، الهجرة الهلالية)، لذلك سكتت المصادر العربية التي بين أيدينا إلى التطرق للنشاط التجاري للأسطول الزيري أو دوره التجاري بشكل واضح، كما أشارت نصوص النوازل والحسبة وكتب الرحالة والجغرافيا إلى العديد من المظاهر الدالة على نشاط التجارة البحرية خلال عهد بني زيري والتي تمثلت في الجهود الفردية للتجار والمُشتغلين بالتجارة.